

المشكلات

١٠ - اللغة العربية

للأستاذ محمد عرفة

لماذا أخفقتنا في تعليمها ؟ — كيف نعلمها ؟

لقد كان يكفي ما قدمته من الأدلة على فساد الطريقة الرسمية في تعليم اللغة العربية ، وعلى صحة الطريقة التي بينتها وأفضت الكلام فيها ، ولكني أعلم أن المؤلف شديد انتزاعه ، وأن النفوس تكره المدول عما وجدت عليه الآباء والأجداد إلى شيء لم يكونوا عليه ، وربما خيل إليها أن السلف الماضين لم يؤثروا هذه الطريقة على ما عداها إلا لفضلها وكفايتها ، وأن المدول عنها إلى غيرها عدول عن الحق النافع إلى الباطل الضار ، ولو كان في هذا الجديد خير لسبق إليه الأولون وإنني أريد أن أبين أن الطريقة التي ندعو إليها هي طريقة المصور الزاهرة لسلفنا الماضين ، وأنها لم تتغير إلى الطريقة التي

diphtongue ، أو كان ناتجاً عن إضغام حرفين صامتين ، أو كان متلوياً في نفس المقطع بحرف صامت consonne ، اعتبر المقطع طويلاً وإلا فهو قصير . وفي القواميس الجيدة نجد دائماً كم الحروف الملتبسة

ونحن لا نريد أن نطيل في تحليل موسيقى هذا النوع من الشعر . فهي لا شك لا تقف عند التفاعيل والمقاطع بل لا بد لها من إيقاع rythme ينتج عن وجود ارتكاز شعري يسمى Ictus ، وهو يقع على مقطع طويل في كل تفعيل . كما أن هناك وفقاً هاماً في كل بيت يشبه الوقف على الشطر في البيت العربي . وهو في البيت السابق يقع بعد المقطع السابع كما نرى بالعلامة = والواقع أن أوزان الأشعار اليونانية واللاتينية معقدة صعبة حتى بالنسبة لمن يتقنون تلك اللغات وذلك لأن نطقها غير معروف على وجه دقيق ، ومن باب أولى عناصرها الموسيقية . ولهذا نكتفي بما ذكرنا متذربين عن اضطرابنا إليه تسكلاً للمرض .

(للسلام صلة)

محمد منصور

نشكو منها إلا في عصور الضعف والتأخر العلمي ، وأريد أن أذكر من أقوال السلف ما يشهد بتفضيل هذه الطريقة على طريقة القواعد والقوانين لأنس القلوب بأن ما أدعو إليه ليس شيئاً أنا ابتدعته وإنما هو شيء كان يعلمه رجال العلم والتربية من آباؤنا السابقين

وأريد بعد ذلك أن أذكر بعض أقوال رجال التربية من علماء الغرب في هذا الموضوع لأبين أن العقل والدليل ورجال العلم في القديم ، ورجال التربية في الحديث وعلماء الشرق والغرب على أن اللغات إنما تكتسب بالتكرار والحفظ والتعمد والدرية وأن القواعد والقوانين لا تكتسب ملكة اللغة

أول كتاب وضع في نحو اللغة العربية وعكفت عليه الأجيال هو الكتاب لسيدوية ، وهو كتاب مليء بالشواهد من كلام العرب ، شعرها ونثرها ، وكلام الله وكلام الرسول ، وأبياته تزيد على الألف ، وكان الدارس له يحفظ أبياته وشواهد ويدرس قواعده ، فيكتسب ملكة اللغة بما يحفظ من المنظوم والمنثور ، ويعلم قوانينها بما فيه من القواعد ، ولم يكن النحوى هو من عرف القواعد فحسب ، بل كان النحوى هو من عرف القواعد ، وحفظ أشعار العرب ، وعلم تخريجها ، وحفظ أيامهم وخطبهم وحكمهم ومساجلاتهم ؛ ولذلك كان اسم النحوى مرادفاً لاسم الأديب ، وألف العلماء كتباً في تراجم النحويين سميت باسم طبقات الأدباء ، كما فعل ابن الأنباري في كتابه نزهة الألباء في طبقات الأدباء . وإذا قرأنا ترجمة من تراجم أساتذة النحو في عصوره الأولى كالبرد والكسائي والفراء وابن جني بهرنا ما نرى من حفظهم وإتقانهم واطلاعهم على شعر العرب والمحدثين واستيعابهم لغة العرب ، والملكة التي جاءتهم من مزاولة هذه اللغة ، فما من غريب إلا وهم به محيطون ، وما من شاهد أو مثل إلا وهم به عالون ، وما من أسلوب إلا وهم عارفون بعنائه قادرون على تخريجه

ولم يكن الأمر كذلك في النحو فقط بل كان أيضاً في البلاغة ، فأول كتاب ألف في البيان العربي وصل إلينا هو البيان والتبيين لأبي عمرو عثمان بن بحر الجاحظ المتوفى سنة ٢٥٥ هـ وهو كتاب حوى من الأشعار والخطب والأحاديث والأمثال

واللحن ، ومن مقدار جهل العوام في كتاب إن كتبه ، وشعر إن أنشده ، وشيء إن وصفه ، وما زاد على ذلك فهو مشغلة عما هو أولى به ، ومذهل عما هو أرد عليه منه ، ومن رواية المثل للشاهد ، والخبر الصادق ، والتعبير البارع . وإنما يرغب في بلوغ غايته ، ومجاورة الاقتصاد فيه ، من لا يحتاج إلى تعرف جسيمات الأمور ، والاستنباط لقوامض التدبير لمصالح المباد والبلاذ ، والملم بالقطب الذي تدور عليه الرحي ، ومن ليس له حظ غيره ، ولا معاش سواه . وعويص النحر لا يجدي في المعاملات ، ولا يضطر إليه شيء . »

وقد وجد شعور منذ زمن طويل بتفضيل تعلم اللغة بالملكة على تعلمها بالقواعد ، عيب على عمار الكلبى بيت من شعره فامتعض وأنشد أرباباً منها . . .
كم بين قوم قد احتالوا لمنطقهم وبين قوم على إعرابهم طبعوا
فهذا الشاعر قد فاضل بين الطريقتين ، وفضل الطريقة العملية على الطريقة العلمية التقريرية

وكان الناس يأخذون ألسنتهم بالإعراب ، ويلتزمون العربية في كلامهم . وكانوا يبيسون من يلحن ويحفظونه عليه ويتحدثون به . وما زال الأمر كذلك في النحو والبلاغة حتى نبتت في المصور المظلمة تلك الحفاة التي تقدر القواعد وتجعلها كل شيء في تعليم اللغة وتربية ملكتها ؛ وأعطتها قوة العصا السحرية ، فما هو إلا أن يضرب المرء بها حتى يستحوذ على لغة العرب ، فيكتب بها ويخطب ويساجل وينظم الشعر ، فأكثرنا من القواعد وأقلنا من عرض المثل والشواهد والأساليب ، وورثنا نحن عنهم هذه الطريقة وسرنا عليها حتى الآن

ورجال التربية في القديم والحديث والشرق والغرب طالما دعوا إلى تعليم اللغات بالحفظ والتكرار والمراثة والدربة ، وينبوا أن القواعد والقوانين لا تعلم اللغة ولا تكون ملكتها ، وطالما ندبوا بهذه الطريقة التقليدية ، وبهذا الأسلوب العقيم في تعليم اللغة ؛ فابن خلدون الفيلسوف الاجتماعي م ٨٠٨ هـ بين في مقدمته أن اللغة ملكة ، وأن الملكات لا تكتسب بالقواعد ؛ إنما تكتسب بالحفظ والتكرار . قال في فصل عنوانه « أن اللغة ملكة صناعية » اعلم أن اللغات كلها ملكات شبيهة بالصناعة ؛ إذ هي ملكات

والساجلات ما هو كفيل بتربية ملكة البيان ، والكتب التي وضعت بعده كالبديع لابن المعتز ، ونقد الشعر لأبي الفرج قدامة ابن جعفر ، والصناعتين لأبي هلال العسكري ، كلها كتب ملئت بالشواهد والأمثلة ، ومتنوع الأساليب ، وقد عنوا بذلك ولزموه وحافظوا عليه ثقة منهم بأن كسب ملكة البيان إنما تكون بحفظ الأساليب التي استكملت شروط البلاغة ، وابن الأثير في كتابه المثل السائر في أدب الكاتب والشاعر حذر دارس كتابه أن يقتصر على القواعد التي في الكتاب ، وأوجب عليه أن يكتب الذوق الأدبي بالاطلاع على بيان العرب من منظوم ومنثور والإكثار من حفظه وممارسة أساليبه ؛ قال في مقدمة كتابه : ومع هذا فإني أتيت بظاهر هذا العلم دون خافيه ، وحث حول حماه ولم أقع فيه ، إذ الغرض إنما هو الحصول على تعليم الكلم التي بها تنظم المقود وترصع ، وتخلب العقول فتخدع ، وذلك شيء تحيل عليه الخواطر ، لا تنطق به الدفاتر . واعلم أيها الناظر في كتابي أن مدار علم البيان على حاكم الذوق السليم ، الذي هو أنفع من ذوق التعليم ، وهذا الكتاب وإن كان فيما يليق به إليك أستاذاً ، وإذا سألت عما ينتفع به في فنه قيل لك هذا ، فإن الدربة والإدمان أجدي عليك نفعا ، وأهدى بصراً وسمماً ، وهما يربانك الخبر عياناً ، ويجعلان عسرك من القول إمكاناً ، وكل جراحة منك قلباً ولساناً ، فخذ من هذا الكتاب ما أعطاك ، واستنبط بإدمانك ما أخطأك ، وما مثلي فيما مهدته لك من هذه الطريقة إلا كن طبع سيفاً ووضعه في يمينك لتقاتل به وليس عليه أن يخلق لك قلباً ؛ فإن حمل النصال ، غير مباشرة القتال وإنما يبلغ الإنسان غايته ما كل ماشية بالرحل شمالاً وكان كلما أفرط القوم في درس القواعد والتعمق فيها ظهرت آراء تدعو إلى القصد في درسها والاقتصار منها على ما أقام الألسن . قال ابن السكيت : خذ من الأدب ما يعلق بالقلوب ، وتشبه الآذان ، وخذ من النحو ما تقيم به الكلام ، ودع الغوامض ، وخذ من الشعر ما يشتمل على لطيف المعاني ، واستكثر من أخبار الناس وأقاربهم وأحاديثهم ولا تولم بالفت منها وقال الجاحظ في رسائله : « فضل في رياضة العبي ، وأما النحو فلا تشغل قلبه منه إلا بقدر ما يؤديه إلى السلامة من فاحش

وسوى هؤلاء كثير من رجال التربية في العصر الحديث
إن أساليب التعليم والتربية التي تسير عليها أمة من الأمم
هي خير قياس لثقافتها وقيمتها ومقدار نضوجها ، فإن كانت
تجبر على وائين العقل والوجود وتسار الرقي الإنساني العام ،
وتلائم روح طبائع الأشياء ، استمدت بذلك على ثقافتها ورفقيها ؛
وإن كانت تخالف ذلك أمكنك أن تحكم على الأمة بالتأخر في
مضمار الحياة . وبالضغف في شتى مناحيها العقلية والاجتماعية
والسياسية ، وإن الأمم الرابضة حولنا ، والمتطلعة إلينا ، والتي
تخالطنا وتجاورنا لتحكم علينا بما نعطى من أساليب في التربية
والتعليم ؛ فلنأخذ بالأسلوب المطابق لطبائع الأشياء وقوانين
الوجود في تعليم اللغة العربية ، إن لم يكن لإتقان اللغة والتوفيق
في تعليمها ، فلاتقاء حكم الأمم علينا بالتأخر في مضمار الحياة .

محمد هرف

ظهر حديثاً بقلم :

توفيق الحكيم

الكتاب الجديد

زهرة العمر

في أكثر من ٣٠٠ صفحة

الثنى ٢٥ قرشاً عدا أجرة البريد

ويطلب من ملتزم طبعه ونشره مكتبة الآداب بالقاهرة

تليفون ٤٢٧٧٧ والمكتبات الشهيرة بمصر والبلاد العربية

في اللسان للعبارة عن المعاني ... (واللسكات لا تحصل إلا بتكرار
الأفعال ، لأن الفعل يقع أولاً ، وتعود منه للذات صفة ، ثم
تتكرر فتكون حالا ، ومعنى الحال أنها صفة غير راسخة ،
ثم يزيد التكرار فتكون ملكة ، أى صفة راسخة) ، ثم بين أن
ملكه هذا اللسان غير صناعة العربية ومستغنية عنها في التعليم ،
وكان حرباً بأهل القرن الثامن وما تلاه من قرون أن ينفعوا
بآرائه وبما بسطه هذا العالم المجدد ودعا إليه من آراء في التربية ،
ولكن ابن خلدون رجل سبق عصره فلم تنفع به أمم الشرق ،
ومن المؤلم أننا في عصرنا الحديث لم نفك قيود التقليد ،
وننفض عنا غبار الكسل ، ونحرر أنفسنا من هذه الطريقة التي
تلاحقنا نتائجها إخفاقاً بعد إخفاق ، وخيبة أثر خيبة

هذا حديث الشرق وحديث الغرب أعجب ، فما من كاتب كتب
في التربية إلا وأحصى على طريقة القواعد ، ورأى أن اللغة لا تعلم
إلا بالحفظ والمحادثة ؛ فروسو رجل الفكر الفرنسي في القرن
الثامن عشر نبه في صراحة على أن اللغات يجب أن تعلم بواسطة
المحادثات لا بواسطة الصرف والنحو . والدكتور غوستاف
لوبون المفكر الفرنسي ذكر في كتابه روح التربية أن الأمم
الراقية لا تأخذ التلاميذ في تعليم اللغات بكتب النحو وإنما
تأخذهم بالكلام المألوف . ثم قال وهذه الطريقة لا تحرم التلاميذ
درس النحو . فهو يدرس النحو أحسن درس بهذه الطريقة
الاشعورية التي تحول النحو إلى ملكة راسخة لا إلى تكلف
وتعمل ...

ودما سبنسر الفيلسوف الإنجليزي في كتاب التربية إلى
تعليم اللغات بأسلوب أشبه بسنن الطبيعة التي يتعلم بها الطفل
لغته الأصلية بلا معين ولا مرشد فيضمحل التعليم بواسطة
القواعد ويمتاض عن ذلك بطرق ناجمة ، وذلك ما أفضى إلى
تأجيل تعليم علوم النحو والصرف والبلاغة للطلاب . واستأنس
في ذلك برأى السيوس مارسيل الذي ذهب فيه إلى أن علوم
النحو والصرف والبلاغة ليست مما يبدأ به في تعليم الأطفال ،
ولكنها متممات ومكملات . ثم قال سبنسر : وقصارى القول أنه
لما كانت علوم النحو والصرف والبلاغة إنما نشأت بعد تكون
اللغة كان من الواجب أن يتلقاها التلميذ بعد تكون اللغة ،

حكمت محكمة مديرية جرجا العسكرية في الجلسة ن ٧٣ سنة ١٩٤١
طهطا بتفريم فرغلي حسن علي من طهطا ٥٠٠ قرش ونشر الحكم بمجلة
الرسالة لأنه باع قهراً بسر أزيد من المحدد في جدول الأسعار